

أحد جميع القديسين وهدف الحياة

الراهب موسى الأتوسي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

اليوم هو أحد جميع القديسين، فمن يفتكر بأن هدف حياتنا الأساسي هو اكتساب القداسة؟ نعم نحن نُخلَق لنصير قديسين. إن فشل هذا الإنجاز هو أعظم مأساة للوجود البشري. لذا، كيف تُقارَب القداسة اليوم؟ ما هو موقفنا منها؟ كيف ننظر إليها؟ كيف نعيشها؟ كيف نجدها ونحتفظ بها؟ كيف نستخدمها، وكيف يمكن أن نفيد منها؟

القداسة لا تلغي الشخصية البشرية. إنها لا تنتهك حرية الشخص البشري وإرادته وفرادته وقدسيته. فالقداسة ليست آلية ولا صناعةً لتمثال متطابق. لدى الكثيرين تصور خاطئ عن القداسة. الكتب التي تعبق بسير القديسين تعطينا أمثلة عديدة وجميلة من الغرب إلى الشرق، بين النساء والرجال، الصغار والكبار، المثقفين والأميين، المتزوجين وغير المتزوجين، الكهنة والعلمانيين، الشخصيات المنغلقة والمنفتحة.

بشكل عام، القداسة كونها إلهية ومقدسة، تثير الرهبة والاحترام والإعجاب والافتتان. لكن لا بد أن نقول إنها أحياناً تتشابه بالأساطير والمبالغات وعدم الأصالة. القديس ينفصل تمامًا عن كل ما هو مبتذل. مصدر القداسة والقداسة الذاتية والبر الذاتي هو الله. بالاشتراك به تُعطى القداسة. دُعي المسيحيون الأوائل قديسين لكي يتذكروا الغرض من حياتهم. يُنظر إلى القداسة اليوم على أنها بعيدة، من عالم آخر، مستحيلة، أو موهبةً نخبيةً أرستقراطيةً روحيةً. تُعطى القداسة بعداً أخلاقياً بحتاً لا يصف حالة جوهر المسيحي.

القداسة ليست مباراة بطولة، أو عملاً خارقاً للطبيعة، أو فعل براعة مهيباً، أو تحصيلاً لرقم قياسي في الفوز. القداسة ليست علامة مضيئة، أو هالة متوهجة، أو عرضاً مذهلاً، أو إعلاناً مطلوباً، أو نشراً للإطراء. القداسة تحب أن تعيش مغمورة، بلا شهرة منسية صامتة في التوبة والتواضع. القداسة هي شركة مع الله الكلي القداسة لا إنجاز بشري. القداسة هي التوازن الحقيقي والصحة الأصلية والعلاقة ذات المغزى مع الله. إنها طاعة وصيته بأن نصبح قديسين لأن الله قدوس. مشيئة الله هي قداستنا.

بالقداسة نعني إتياب المسيح إلى الجثسيمانية والجلجثة. القداسة لا تنتقل ولا تُكتسب بمجرد قراءة الكتب وإجراء مناقشات مطولة في غرف الجلوس. إنها تدعو إلى إعطاء الدم لأخذ الروح. يجب علينا أن نكافح باستمرار ونتحلى بالصبر، لنهزم الوحش البري ذا الرؤوس الكثيرة المسمى الكبرياء. يتغلب

القديس على الأنانية ومحبة الجسد والسعي إلى المال ومحبته، بمحبة ما هو إلهي، بمحبة الناس وعمل الرحمة واللفظ الأخوي ومحبة التوليد والحياة الفاضلة.

القديسون، بحسب الشيخ (القديس) يوستينوس بوفيتش، هم الإثبات الدائم للإنجيل، وهم امتداد المسيح. لقد أثبتوا بالممارسة أن فضائل الإنجيل ممكنة.

يبحث العديد من الحجاج إلى جبل أئوس اليوم عن قديسين عظماء لحل مشاكلهم. بعبارة أخرى، نريد القديسين والمسيح والكنيسة بدافع المصلحة الذاتية الخالصة، لنقضي حياتنا من دون تشوش معافين. وهذا يدل على وجود تصور قائم على السحر للقداسة والأسرار المقدسة والكنيسة. بهذا تصير الأرثوذكسية متدينة. يخبرنا الشيخ (القديس) باييسوس أن القديسين يحبون المسيح حتى لو لم يكن هناك فردوس في الحياة الآخرة!

القداسة الحقيقية، إذ يوجد للأسف قداسة زائفة، ليست جهازاً عرض قوياً، ومكبر صوت عالياً، وأضواءً، وفرقة، وأحابيل ودعاية. القداسة مخبأة سواء كانت في آئوس أو في المدينة أو في القرية. إنها تزدهر في السرية والتواضع وصلاح الشرفاء والمخلصين واحتمال المرض والرفض والفشل والحزن والنقد والسخرية، إلخ. قد تكون القداسة في الأقلية والاستثناء لكنها موجودة. هذا مهم جداً ورسالة أمل كبير.

Μοναχού Μωσή Αγιορείτη. Κυριακή των Αγίων Πάντων. Αγιορειτικες Μνημες. Κυριακή, 15 Ιουνίου 2014.
<http://agioritikesmnimes.blogspot.com/2014/06/4914.html>